مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (١٦)

الاتجاه الأخلاقى فى فلسفة مسكوية بين الأصالة والتقليد

"دراسة تحليلية نقدية"

إعداد

د/ اشرف عبد العليم عبد الباسط

السنة ٢٧ العدد (١٠٦) يوليو ٢٠١٦م

http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rifa2012@ Gmail.com

الاتجاه الأخلاقي في فلسفة مسكويه بين الأصالة والتقليد

(دراسة تحليلية نقدية)

د/ اشرف عبدالعليم عبدالباسط

الملخص العربي :

أن مسكويه بالرغم من اعتماده اعتماداً كبيراً بشكل واضح على الفلسفة اليونانية ، حيث اتخذها المصدر الأساس في فلسفته الخلقية إلا أنه لم يغفل دينه الإسلامي ولم ينس أنه مسلم ، فحاول مزج ما افاده من هذه الفلسفة بما تعلمه من أحكام الشريعة محاولا التوفيق بين الدين والفلسفة ، وباذلاً جهده في أن يلتزم بأحكام دينه ، ويتقيد بمادئ الإسلام قدر إمكانه ، فلم يقبل من هذه الفلسفة ما يتعارض مع الدين ، فى كثير من المسائل الأخلاقية .

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله ، واصحابه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين وبعد،

فإن مسكويه[1] قد ارتبط اسمه بتاريخ الفكر الإسلامي ارتباطا وثيقاً بحيث لا يمكن التأريخ لهذا الفكر – بأي حال من الأحوال دون أن يذكر مسكويه فأصبح بذلك علماً من أعلام الفلسفة الأخلاقية في الإسلام ، ذلك أنه قد عني بالأخلاق عناية شديدة ، واهتم بها وتفرغ للبحث فيها دون سائر فروع الفلسفة ، فانفرد بهذا دون كثير من فلاسفة الإسلام الذين أكتفوا بالإشارة إلى الاخلاق وتعرضوا لها عرضا ضمن فلسفتهم العامة ، ومن أجل هذا فإنهم قد نالوا شهرتهم بغير البحث في الأخلاق، اما مسكويه فإنه لم ينل شهرته إلا ببحثه وتعمقه في مجال الأخلاق

---

[1] - هو أبو علي أحمد بن محمد مسكويه ، ولد بالري سنة ٣٣٠هـ وتوفي بأصبهان سنة ٤٢١هـ ، وهو فليسوف أختص من الفلسفة الناحية الخلقية فألف "تهذيب الأخلاق" ، درس الفلسفة اليونانية تأثر بارسطو وافلاطون ، وإذا أضفنا إلى ثقافته اليونانية دراسته للشريعة الإسلامية ، أدركنا قيمة الموروث الثقافي الذي تركه لنا هذا الفليسوف.

وعلى الرغم من إجماع الباحثين على شهرة مسكويه ، وذيوع فلسفته الأخلاقية فإنهم قد اختلفوا فى نقده والحكم عليه وعلى فلسفته الأخلاقية فمنهم من يبالغ في مدحه والثناء عليه وتمجيده ويصفه بالريادة فى علم الأخلاق عند المسلمين، وأنه اكبر باحث عربي في تاريخ الفكر الاخلاقي ، حتي بالغ بعضهم في ذلك بأن أطلق عليه المعلم الثالث.[٢] مثلما كان الفارابي المعلم الثاني بناء على متابعتهما لمعلمها الأول"أرسطو" ومنهم من يبالغ فى قدحه والنيل منه والاستهانة به ويري أنه كان مضطرب الفكر ، وأن فلسفته تخلو من الأصالة والابتكار وأنه كان متابعا لفلسفه أرسطو فى الأخلاق.[٣]

من أجل كل هذا فإني حاولت أن اكون موضوعياً في دراستي " لمسكويه" فعكفت على قراءة مصادره في الأخلاق ، وحرصت علي الرجوع إلى هذه المصادر كثيراً ، أثناء الكتابة عنه ، وطرحت جانباً هذه الأحكام المتسرعة على مسكويه ، وعلى فلسفته الاخلاقية ، حيث بيّنت تأثره بالدين وتقيده بالشريعة الإسلامية فى المواضع التى التزم فيها بأحكام الإسلام ، وبينت تأثره بالفلسفة في المواضع التي قلد فيها فلاسفه اليونان وبخاصة أفلاطون وارسطو والمواضع التى تأثر فيها بفلاسفة الإسلام وبخاصة الكندي والمواضع التى حاول فيها التوفيق بين الدين والفلسفة

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة :

المبحث الأول : مدي عناية مسكويه بالشريعة وتأسيسها للجانب الاخلاقي

المبحث الثاني : منهجه الأخلاقي فى التوفيق بين الدين والفلسفة .

المبحث الثالث: تقييم محاولة مسكويه فى رؤيته للأخلاق.

الخاتمة : وفيها أهم النتائج .

هذا وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

---

[٢] - السيد محسن الأمين العاملى : أعيان الشيعة مطبعة الإنصاف بيروت ١٩٦١ ، ف١٠ صـ ٩ ، وايضاً د/ عبد العزيز عزت : ابن مسكويه فلسفته الأخلاقية ومصادرها ومصطفي الحلبي ط الأولى ١٩٤٦ م صـ٢١٧

[٣] - د/ أحمد محمود صبحي : الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي دار المعارف ١٩٦٩ صـ ٣١٣ .

المبحث الأول

مدى عناية مسكويه بالشريعة واهميتها لديه

يذهب مسكويه إلى أن الشريعة هي العامل الاكبر من عوامل العدالة [٤] فهو عامل ياتي من فوق ، ويصدر عن قوة اعظم من قوة الحاكم ، وسائر الناس ، وأطلق أرسطو على هذا العامل " الناموس الأكبر " لأنه من عند الله تبارك وتعالى ، ويتمثل فيما ينزله من أوامر ونواه جاءت بها الشرائع ، وناموس الله هو أكمل النواميس.[٥]. والناس أجمعون في معاملاتهم .[٦] جميعا ، ولهذا وجب ان يخضع له الحاكم في تشريعه ، والدينار في قيمته ،

ولأهمية الشريعة في نظر مسكويه فإنه يدعو الوالدين إلى الأخذ بها، فى تربية أولادهم لينشأوا على الآداب القويمة ، والأخلاق الفاضلة يقول مسكويه " والشريعة هي التى تقوم الاحداث ، وتعودهم الأفعال المرضية ، وتعد نفوسهم لقبول الحكمة ، وطلب الفضائل ، والبلوغ إلى السعادة الإنسية بالفكر الصحيح والقياس المستقيم ، وعلى الوالدين اخذهم بها ، وبسائر الآداب الجميلة بضروب السياسات من الضرب إن احوجوا إليه، أو التوبيخات إن أقنعت فيهم ، او الإطماع في الكرامات او غيرها مما يميلون إليه من الراحات أو يحذرونه من العقوبات .[٧]

ورغم صراحة هذا الكلام ووضوحه من مسكويه فإن من العجيب أن يذكر الدكتور محمد يوسف موسي ان مسكويه يري أن المرء لا يحتاج للشريعة في حال

---

(٤)- يذكر مسويه ان عوامل العدالة ثلاثة : العامل الاول هو الدينار، وهو عامل ساكت ، والعامل الثاني هو الحاكم وهو عدل ناطق ، فالإنسان الناطق هو الذي يستعمل الدينار ويقوم به جميع الأمور التى تكون بالمعاملات حتي تجري على استقامه ونظام ومناسبه صحيحة وعادلة ، ولذلك يستعان بالحاكم الذي هو عدل ناطق إذا لم يستقم الأمر بين الخصمين بالدينار الذي هو عدل ساكت (راجع تهذيب الأخلاق صـ ١١٥) راجع أيضا د/ عبد العزيز عزت ابن مسكويه صـ ٣٠٢

(٥)- اطلق أرسطو على الحاكم الناموس الثاني وعلى الدينار الناموس الثالث ، وذكر ان الناموس الأكبر هو من عند الله تبارك وتعالى ، وذكر مسكويه ان ناموس الله تعالى قدوة النواميس يعني الشريعة ، والحاكم الثاني مقتد به والدينار مقتد ثالث " راجع تهذيب الأخلاق صـ ١١٦"

(٦) - راجع تهذيب الأخلاق صـ١١٦ ، وأنظر د/ عثمان عبد المنعم عيش : فلسفة الأخلاق عند مسكويه صـ ١٦

(٧) - راجع المصدر السابق صـ ٣٥

دون حال ، او طور دون طور ، إنه محتاج لها في كل حالاته ، ويستشهد بقوله " حتي تهديه وتقومه إلى الحكم البالغة ، ليتولى تدبير إلى آخر عمره " (٨)

وحينما رجعت إلى هذا النص من كتاب مسكويه وجدته يؤكد على ما سبق أن أشار إليه وينفي تماما ما توصل إليه الدكتور يوسف موسي متقطعا هذه العبارة من كلام مسكويه .

فمسكويه يقول بالنص:" ومن ها هنا تبين أن الإنسان في ابتداء كونه محتاج إلى سياسة الوالدين ، ثم إلي الشريعة الإلهية والدين القيم ، حتي تهذبه وتقومه ، ثم إلى الحكمة البالغة ، لتتولى تدبيره إلى أخر عمره" (٩).

مدى استشهاد مسكويه بالكتاب والسنة

حاول مسكويه الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية في الاستدلال على ما ذهب غليه من آراء في فلسفته الأخلاقية واعتمد في كتابيه التهذيب والفوز على بضع آيات قرآنية كريمة ، وعدد من الأحاديث النبوية استشهد بها عند عرضه لبعض القضايا والمسائل الأخلاقية .

فمثلا حينما ذكر أن غرضه من كتابه التهذيب يتلخص في " أن نحصل لانفسنا خلقا تصدر به عنها الأفعال كلها جميلة ، وتكون مع ذلك بصناعة وعلى ترتيب تعليمي " بين أن الطريق إلى ذلك هو " ان نعرف أولا نفوسنا ماهي وأي شئ هي ، ولأى شئ أو جدت فينا – يعني كمالها وغايتها وما قواها وملكاتها التي إذا استعملناها على ما ينبغي بلغنا بها هذه الرتبة العلية ، ومال الذي يدسيها فتخيب (١٠)

---

(٨) - تهذيب الاخلاق صـ ١٠٦

(٩) - تهذيب الأخلاق صـ ١٠٢ ، وانظر د/ هناء عبده ، الإنسان عند أخوان الصفا ومسكويه، ودكتوراه آداب المنوفية أشراف د/زينب عفيفي شاكر ط٢٠٠٧ ص٦٢

(١٠) - راجع تهذيب الأخلاق صـ ٢ ، وانظر د/ محمد لطفي جمعة ، تاريخ فلاسفة الإسلام صـ٣١٠

حينما ذكر ذلك استدل عليه مستشهدا بقول الله عز وجل " وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)"[١١]

فهو وإن كان قد تابع الفلاسفة في تأسيس دراساتهم للأخلاق على نظرياتهم في النفس ، واعتبار دراسة النفس مقدمة ضرورية لدراسة الأخلاق ، إلا قد زاد عليهم بأستشهاده بهذه الآيات الكريمة مبينا أن الله سبحانه خلق النفس البشرية وجعلها مهيأة للإصلاح والتقويم ، فهى قابلة للفجور والتقوى ، وعلى الإنسان ان يجتهد في تزكيتها وتطهيرها بالأعمال الصالحة حتى يفلح ، فقد أفلح من زكاها بالأخلاق الحسنة وقد خاب من دساها ودنسها بالأخلاق السيئة والرديئة.

ويذكر أيضاً في معرض حديثة عن خير الإنسان وسعادته أن الشرور تشغله عما عرض له من تزكية نفسه التي تنتهي به إلى السرور الحقيقي وتوصله إلى قرة العين وتبلغه إلى جوار رب العالمين في النعيم المقيم واللذات التي لم ترها عين ولا سمعتها أذن ولا خطرت على قلب بشر[١٢].

معنى ذلك أن مسكويه نص صراحة في أكثر من موضع الجزاء الأخروي في فلسفته الأخلاقية ، ولم يغفله أو ينكره كما ذكر الدكتور/ أحمد محمود صبحي[١٣].

محاولة مسكويه مزج الشريعة بالمصادر الفلسفية

(يونانية – إسلامية)

يذكر(دي بور) أن مسكويه قد خلف مذهباً فلسفياً في الأخلاق لا يزال له شأن في الشرق إلى يومنا هذا ، وهو مزيج من آراء أفلاطون وأرسطو ، ومن أحكام الشريعة الإسلامية [١٤]

(١) تأثر مسكويه بأفلاطون :

---

(١١)- سورة الشمس الآية ٧-١٠

(١٢)- المصدر السابق صـ ٢١٦

(١٣)- د/ أحمد محمود صبحي: الفلسفة الأخلاقية ص٣١٣

(١٤) – دي بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام صـ٢٣٩

فقد اشار في كتابه الفوز الاصغر إلى كتابي طيماوس والنواميس لأفلاطون ذلك في حديثة عن مائية النفس والحياة التى لها ، وتأثر بكتاب الجمهورية (الذى كان يسمي بكتاب الساسة) في حديثه عن قوى النفس الثلاث وفضائلها الأربع الكبرى والتى يسمي بأمهات الفضائل الخلقية وفي بحثه في السعادة والخير الأقصي حاول الجمع بين رأى أفلاطون ورأى أرسطو ، وتأثر بهما معا، وإن كان كما سنري غلب عليه الاتجاه الأرسطي.[١٥]

(٢) تأثر مسكويه بأرسطو من خلال كتابه " نيقوماخيا":

حينما بدأ مسكويه في المقالة الثالثة التي خصصها للحديث عن الخير والسعادة في كتابه " تهذيب الاخلاق" وقال " نبدأ بمعونه الله تعالى في هذه المقالة : بذكر الفرق بين الخير والسعادة بعد أن نذكر ألفاظ أرسطو اقتداء وتوفيه لحقه[١٦] ثم قال إن الخير علي ما حده وأستحسنه – أى أرسطو – من أراء المتقدمين هو المقصود من الكل ، وهو الغاية الاخيرة ، وقد يسمي الشيء النافع في هذه الغاية خيراً [١٧]

ثالثا: تأثر مسكويه بالكندي:

يبدو أن مسكويه قد تأثر في معظم حديثة عن الحزن بالكندي وأن كان هو لم يشر إلا في نقطة واحدة بين فيها أنه إفادها من الكندي حيث رجع إلى كتابه دفع الإحزان " يقول مسكويه " وقال الكندي في كتابه دفع الإحزان ما يدلك دلاله واضحة علي أن الحزن شئ يجتلبه الإنسان ويضعه وضعاً ، وليس هو من الأشياء الطبيعية [١٨] ثم أستدل علي ذلك بأن من فقد ملكاً او طلب امراً فلم يجده ولحقه حزن ، ثم نظر في حزنه ذلك نظراً حكيماً وعرف أن أسباب حزنه هي أسباب غير ضرورية ، وان كثيرا من الناس ليس لهم ذلك الملك ، وهم غير محزونين بل فرحين علم علماً

---

[١٥]) - مسكويه الفوز الأصغر صـ ٨٤ ـ٨٥ ، وانظر د / يوسف موسي : تاريخ الأخلاق صـ٧٧

[١٦]) - مسكويه تهذيب الأخلاق: صـ ٧٥

[١٧]) - نفس المصدر السابق والصفحة

[١٨]) - مسكويه: تهذيب الأخلاق صـ ٢١٩

لا ريب فيه أن الحزن ليس بضروري ولا بطبيعي وإن من حزن من الناس وجلب لنفسه هذا العارض فهو لا محاله سيسلو ويعود إلى حاله الطبيعي ، فقد شاهدنا قوماً فقدوا من الأولاد والأعزة والأصدقاء والاحبة وفقد المال وجميع ما يقتنيه الإنسان ما أشتد حزنهم عليه ثم لا يلبثون أن يعودوا إلى حالة المسرة والضحك والغبطة ، ويصيروا إلى حال من لم يحزن قط [١٩]

ولا شك أن مسكويه قد تأثر بمن سبقه من أفكار الفلاسفة وأقتبس من أرائهم ، واستعمل مقولاتهم ، ومن اشهر هؤلاء الفيلسوف اليوناني أرسطو، وأرسطو نفسه ما هو إلا صدي لكتابات أستاذه أفلاطون الأخلاقية ، ولو أراد الباحث أن يحلل أفكار أرسطو جزء بعد جزء لاكتشف أن أراء أرسطو الاخلاقية مستقاه من فلسفة أفلاطون علي أنها كتبت بأسلوب أرسطو، وذلك أمر طبيعي في كل حقل من حقول المعرفة توجد مقوله فلسفية تذهب في الرأي إلى أنه لايوجد شئ من لا شئ بل كل شيء يعتمد على شيء سبقه ، ولان الفكر الإنساني سلسلة متصلة الحلقات تكمل بعضها الأخرى وهو أمر ضروري حتي يستطيع الفكر الإنساني أن يتقدم ، ولو تتبعنا فلسفة أى فيلسوف او فكر أى مفكر أو علم أى عالم ، لوجدنا أنه قد اعتمد على من سبقه من المبدعين في الحقل الذي يكتب فيه .

---

[١٩] - المصدر السابق صـ ٢٢٠

المبحث الثاني

محاولة مسكويه التوفيق بين الفلسفة والدين .

التوفيق بين الفلسفة والدين في نزعته الاجتماعية

من الواضح أن مسكويه في نزعته الاجتماعية ، ونقده للزهاد ، وحملته على المعتزلين للحياة والمجتمع ، قد تأثر بأستاذه ومعلمه الأول أرسطو .

فالإنسان في رأي أرسطو مدني بالطبع ، ولم يخلق ليعيش وحده ، فليست المدنية إذن وليدة اتفاق الناس على أن يعيشوا معاً يتبادلون الخدمات والمنافع ، بل هي قائمة على الطبيعة الإنسانية وتعتبر شرطاً لأبد منه لترقي الفرد من حال إلى حال ، ولتحقيق جميع ما في قواه من خير وفضيلة .

ولم يكن أرسطو في قوله إن الإنسان مدني بالطبع صادراً عن تفكير فحسب، بل إنه انتزعها من الحياة العملية انتزاعاً ، فهي كغيرها من فكراته السياسية ليست إلا حقيقة واقعية ، عرفها بالتجربة والملاحظة ، ثم صاغها في قالب النظريات(٢٠) .

وإذا ما رجعنا إلى أفلاطون نجد أنه يرى أن المادة أو "الجسم" أضحت مبدأ كل شر ، والعقل أصبح أساس كل خير ، وحياة الإنسان فيما قال سقراط :ممارسة الموت ، ومن هذا وجب أن يعمل الإنسان على استئصال شهواته ، ووأد رغباته ، واهوائه ، وتحرير نفسه من قيود الجسم .

وليس أدل على هذا من أسطورة الكهف التي رواها في مستهل الباب السابع من الجمهورية(٢١) .

فقد أراد للنفس أن تتخلص النفس من سجنها وهو الجسم ، ولا يكون هذا إلا بإماتة الرغبات والأهواء والانصراف عن اللذات ، والإقبال علي حياة الزهد والحرمان هكذا يصبح عالم الحس كله شر ، يجب الابتعاد والانفصال عنه رويداً رويداً ، حتى تصبح الحياة الفاضلة هي العيش والتأمل في عالم المثل وهو التأمل

---

[٢٠] راجع د/ محمد يوسف موسى : تاريخ الأخلاق ص٩٤-٩٥

[٢١] صور أفلاطون قوماً قضوا طفولتهم موثقين بالسلاسل في كهف – هو رمز العالم المحسوس – وكانت وجوههم إلى داخل الكهف بحيث لا يرون إلا ما يواجههم ، من ضوء نار واشباح أفراد أو أشياء تمر خلفهم- فيحسبونها أعياناً حقيقية، وهذا رمز للمعرفة الحسية- فإذا تخلصوا من الكهف تيسر لهم أن يعرفوا النور مباشرة(وهو مثال الخير الذي أشار إليه الدكتور توفيق الطويل على أنه اسمى المثل جميعاً)راجع فلسفة الأخلاق صـ ٧٧

الفاضلي القائم على النفس الناطقة ، ومن هنا تصبح الفلسفة – وهي معرفة عالم العقل – هي المقوم الوحيد للخير الأقصى[٢٢].

ثم جاء تلميذه أرسطو ، فلم يسلم بدعوة أستاذه وغيره من المتزمتين الذين يرون أن الفضيلة تقتضي أن يعمل الإنسان على استئصال شهواته ، وإماتة رغباته ، فالفضيلة عند أرسطو لا تكون قط إلا حين يجتمع عقل وشهوة، ومن أجل هذا جاهر بمخطئة الزهدة الذين ينزعون إلى استئصال الشهوة من طبائع البشر ، فالإنسان عنده ليس عقلاً خالصاً ، ولا حساً محضاً ، ولكنه مركب منهما معاً .

وإذا كانت الشهوات تمثل في الإنسان جانبه العضوي ، فإن العمل على إبادتها يعد إضراراً بالطبيعة التي لا تستقيم بغيرهما مجتمعين.

فالأهواء والشهوات هي –بلغة ارسطو– هيولي الطبيعة، والعقل صورتها ، والصورة لا تقوم بغير هيولي – إلا في الطبيعة الإلهية– والفضيلة لا تكون بالإسترسال مع الشهوة، والانقياد لسلطانها، فإن هذا ما يفعله الحيوان، ولا تكون أيضاً في العمل على استئصالها وإماتتها على النحو ما ذهب الكلبية من قبل[٢٣].

وإنما تكون في إخضاعها لحكم العقل لأن الفضيلة تعني الاعتدال ، ومن أجل هذا قامت عنده نظرية الأوساط التي جعلت الفضيلة وسطاً بين إفراط وتفريط.

وبذلك يكون أرسطو قد حرص تمام الحرص على رفض الإنسياق مع طلاب اللذة من ناحية احتراما لأنسانيته وأعلن نفوره من الزهدة الذين تطلعوا إلى إماتة الجانب الحسي في طبائعهم تقديراً منه لسلامة النفس البشرية[٢٤] .

وكذلك فإن مسكويه – بجانب تأثره بأرسطو – تأثر أيضاً بتعاليم الإسلام ، وأحكام شريعته ، وخاصة في بيان أثر العبادات في التوجيه الإجتماعي ، وإبراز المقاصد الأدبية والإجتماعية للفروض الشرعية .

فهو يرى أن أحكام الشريعة لو فهمت على وجهها الصحيح ، لكانت مذهباً خلقياً أساسه محبة الإنسان للإنسان ، إذ أن الدين رياضة خلقية لنفوس الناس ،

---

[٢٢] راجع فلسفة الأخلاق صـ٧٧

[٢٣] راجع فلسفة الأخلاق صـ ٦٦-٨٩

[٢٤] راجع فلسفة الأخلاق صـ ٤٩١ -٤٩٥ ،٤٩٦-٤٨٩ وما بعدها.

وغاية الشعائر الدينية كصلاة الجماعة والحج. هي أن تغرس الفضائل في نفوس الناس[٢٥] .

يذكر مسكويه أن الأنس هو مبدأ المحبة ، فقد أشتق منه اسم الإنسان في اللغة العربية ، وليس كما يقول الشاعر " سميت إنسان لأنك ناسي " فالإنسان آنس بالطبع ، وليس بوحشي وينبغي أن نحرص عليه ، ونكتسبه مع أبناء جنسنا ، حتى لا يفوتنا بجهدنا واستطاعتنا ، فإنه مبدأ المحبات كلها[٢٦] .

ويذكر مسكويه أيضاً أنه إنما وضع للناس بالشريعة وبالعادة الجميلة ، اتخاذ الدعوات والاجتماع في المآدب ، ليحصل لهم هذا الأنس .

ويرى أن الشريعة إنما أوجبت على الناس – ويقصد المسلمين – أن يجتمعوا في مساجدهم كل يوم خمس مرات ، وفضلت صلاة الجماعة على صلاة الأحاد

ليحصل لهم هذا الأنس الطبيعي الذي هو فيهم بالقوة حتى يخرج إلى الفعل ثم يتأكد بالإعتقادات الصحيحة التي تجمعهم. وهذا الإجتماع في كل يوم ليس يتعذر على أهل كل محلة وسكة. والدليل على أن غرض صاحب الشريعة ما ذكرناه أنه أوجب على أهل المدينة بأسرهم أن يجتمعوا في كل أسبوع يوما بعينه[٢٧] في مسجد يسعهم ليجتمع أيضا شمل أهل المحال والسكك في كل أسبوع كما اجتمع شمل أهل الدور والمنازل في كل يوم. ثم أوجب أيضا أن يجتمع أهل المدينة مع أهل القرى والرساتيق[٢٨] المتقاربين في كل سنة مرتين في مصلى بارزين مصحرين ليسعهم المكان ويتجدد الأنس بين كافتهم وتشملهم المحبة الناظمة لهم[٢٩].

وانتقل مسكويه من فريضة الصلاة إلى فريضة الحج وهما من أركان الإسلام فقال: ثم اوجب بعد ذلك أن يجتمعوا في العمر كله مرة واحدة في الموضع المقدس بمكة ولم يعين من العمر وقت مخصوص ليتسع لهم الزمان وليجتمع أهل المدن

---

[٢٥] دي بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام صـ ٢٤٣

[٢٦] يذكر مسكويه أن هذا الشاعر ظن أن الإنسان مشتق من النسيان ، وهو غلط منه كما يراه مسكويه.

[٢٧] ويقصد به يوم الجمعة ، وسمي بالعيد السبوعي للمسلمين

[٢٨] الرستق يطلق على القرية الصغيرة جمعها رساتيق أنظر المعجم الوسيط ص٩٥٣

[٢٩] راجع تهذيب الأخلاق ص ١٤٠، ١٤١

المتعاونة كما اجتمع أهل المدينة الواحدة ويصير حالهم في الأنس والمحبة وشمول الخير والسعادة كحال المجتمعين في كل سنة وفي كل اسبوع وفي كل يوم فيجتمعوا بذلك إلى الأنس الطبيعي وإلى الخيرات المشتركة وتتجدد بينهم محبة الشريعة وليكبروا الله على ما هداهم ويغتبطوا بالدين القويم القيم الذي ألفهم على تقوى الله وطاعته(٣٠).

وينهي مسكويه كلامه بأن القائم بحفظ هذه السنّة وغيرها من وظائف الشرع حتى لا تزول عن أوضاعها هو الإمام، وصناعته هي صناعة المُلك، والأوائل لا يسمون بالملك إلّا من حرس الدين وقام بحفظ مراتبه وأوامره ونواهيه(٣١).

وبذلك يكون مسكويه قد تأثر في نزعته الإجتماعية بثقافته الفلسفية متمثلة في تعاليم أرسطو ثم الجمع بينهما وبين ثقافته الإسلامية ، حيث بين أثر العبادات في تجديد الأنس ، ودورها في توثيق أواصر المحبة والصداقة بين أفراد المجتمع.

تقييم فلسفة مسكويه

من خلال ما سبق :

اتضح للباحث أن فلسفة مسكويه الأخلاقية تحتوي علي عناصر إيجابية واخرى سلبية

أولا : العناصر الإيجابية :

١) تأكيد مسكويه علي دور الشريعة في تهذيب الخلق وتوجيهه نحو الفضائل .

فقد أعتمد مسكويه في إيضاح هذه النزعة الاجتماعية والدفاع عنها على تعاليم الدين الإسلامي وآدابه مثل صلاة الجماعة ، والجمعة وصلاة العيدين ،واللقاءات التي شرعها الإسلام بين المسلمين جميعا حيث يقبلون من كل فج عميق إلى مكة أثناء الحج او العمرة لإيجاد الأنس والألفة بين الناس وتبادل المنافع المادية ، والروحية على السواء .

وقد اشار إلى ذلك دي بور بقوله " ويذهب مسكويه إلى أن احكام الشريعة لو فهمت علي وجهها الصحيح لكانت مذهبا خلقيا اساسه محبة الإنسان للإنسان ، والدين رياضة خلقيه لنفوس الناس ، وغايه الشعائر الدينية ، كصلاة الجمعة والجماعة والحج والعيدين هي أن تغرس الفضائل في نفوس الناس ، فهى تعلمهم محبه الجار في أوسع صورها (٣٢)

---

[٣٠] راجع تهذيب الأخلاق صـ١٤١

[٣١] راجع المصدر السابق صـ١٤١-١٤٢

(٣٢) - أنظر دي بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام صـ ٢٤٣

واعتقد ان استاذنا الدكتور / أحمد محمود صبحي قد بالغ في حكمه على مسكويه بقوله " أنه ليس في فلسفته اصالة أو ابتكار وإنما الاقتباس والتلفيق (٣٣)

٢) يوجد عند مسكويه بعض الإشارات الصوفية من خلال حديثه عن مقامات الناس عند الله عز وجل وفكرة المحبة الإلهية حيث يقول : " للإنسان مقامات ومنازل عند الله عز وجل فالمقام الأول للموقنين وهو رتبه الحكماء وأجله العلماء ، والمقام الثاني مقام المحسنين وهو رتبه اللذين يعملون بما يعلمون ، والمقام الثالث مقام الأبرار وهو رتبه المصلحين ، وهؤلاء هم خلفاء الله بالحقيقة في إصلاح العباد والبلاد، والمقام الرابع مقام الفائزين وهو رتبه المخلصين في المحبة وإليها تنتهي رتبه الاتحاد وليس بعدها منزلة ولا مقام لمخلوق (٣٤) والطابع الإسلامي واضح فى المصطلحات التي يستعملها مسكويه للدلالة على هذه المقامات ، وهي " الموقنون " ، " المحسنون"، "والأبرار" ، و" الفائزون" ، وكلها مصطلحات قرآنية ، وليس من الصعب تلمسها في آيات القرآن الكريم .

ثانيا: العناصر السلبية :

١) في حديث مسكويه عن الآداب التي ينبغي ان يتحلى بها الصبي في طعامه التي اطلق عليها " آداب المطاعم" لم يشر إلى حديث واحد من احاديث النبي صلى الله عليه وسلم والتي أفرد لها علماء الحديث كتباً وأبواباً وأطلقوا عليها (آداب الأكل) (٣٥)

فهو لم يشر إلى التأدب بأدب النبي صلى الله عليه وسلم وآدب الصحابة والتابعين في هذا المجال كذلك فأنه لم يدع الصبي إلى الصلاة والحفاظ عليها والإلتزام بأحكام الشريعة بل أنه فى حديثه عن الفضائل والآداب التى ينبغي ان

---

(٣٣)- د/ احمد محمود صبحي : الفلسفة الاخلاقية في الفكر الإسلامي صـ ٣١٣

(٣٤)- مسكويه : تهذيب الأخلاق صـ ١٢٢

(٣٥)- وردت احاديث صحيحة في هذا الشان منها حديث عمر بن أبي سلمة رضى الله عنه ، كنت غلاما في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله "صلى" : ياغلام سم الله ، وكل بيمينك، وكل مما يليك " راجع تفاصل الروايات في هذا الحديث في جامع الأصول لابن الأثير ج ١١ ص ٣٨٨ ـ ٣٨٩

يحلى بها الصبي لم يستدل على ذلك بآية قرآنية واحدة او حديث نبوي واحد وكذلك في تحذيره من قرناء السوء رغم توافر الأيات والاحاديث فى هذا المجال .

فكنا ننتظر من مسكويه بعد ان قرر – كما سبق – أن الشريعة التى تقوم الأحداث وتقودهم للأفعال المرضية وتعد نفوسهم لقبول الحكمة وطلب الفضائل والبلوغ إلى السعادة الإنسانية (٣٦)

كنا ننتظر من مسكويه أن يضع لنا الأسس الإسلامية لتقويم الأنسان في طفولته فيذكر لنا الفضائل الإسلامية المهمة التي يجب أن يلقنها الأباء لأبنائهم على نحو مفصل اكثر مساحة أكبر .

٢) كذلك فإن مسكويه قد تأثر بأرسطو كثيراً وأفاد منه في تطبيق نظرية الوسط على الفضائل ، حيث تابعه في كثير من الأحيان متابعة كاملة ونقل عنه حرفياً ، والحقيقة أننا نجد مسكويه في هذا النقطة لم يحاول التخلص من نظرية الوسط أدني تخلص ، بل أنه لم يردد حتى الأنتقادات التى وجهت إليها وإنما سلم تسليما كاملا ، كذلك فأنه لم يحاول التوفيق بينها وبين ما ورد في القرآن والسنة من نصوص تدل على الوسط والوسطية مثل قوله تعالى " وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا "(٣٧) في الأستدلال علي أن الكرم او السخاء وسط بين الإسراف والتقتير .كل ما هنالك أن مسكويه أشار الى ذلك إشارة موجزة وسريعة وذلك في الحديث عن المزاح حيث يقول: " ولابد في ذلك – يقصد المؤانسة – من المزاح المستعذب والحديث المستطاب والمفاكهه المحبوبة ، وإصابة اللذة التي تطلقها الشريعة ويقدرها العقل حتى لا نتجاوزها إلى الاسراف فيها ، ولا نقصر عنها تهاونا بها (٣٨)

---

(٣٦)- مسكويه : تهذيب الاخلاق ص ٣٥

(٣٧)- سورة الفرقان الآية ٦٧

(٣٨)- مسكويه تهذيب الاخلاق ص ٢٢٢

أهم النتائج :

١) حرص مسكويه على أن يرسم منهجا للإصلاح الشامل ويرسم السبيل إلى علاج الإنسان من الرذائل ومرادها ويؤكد على أن المرء محتاج إلى الشريعة في شتي أطوار حياته حتي تهديه وتقومه إلى الحكم البالغة ليتولى تدبير نفسه إلى أخر عمره ، ودعا مسكويه إلى ضرورة تنشئة الصبيان على اساس من مبادئ الشريعة على أنها تقومهم وتقودهم إلى الأفعال المرضية ، وتعد نفوسهم لقبول الحكمة وطلب الفضائل .

٢) تطورت الفلسفة الأخلاقية على يد مسكويه تطورا أكثر عمقا نحو الاتجاه لنزعة إسلامية وإن كانت متشربه بالأفكار الفلسفية عند أفلاطون وارسطو إلا انه كان يكسوها بالثياب الإسلامية من خلال استناده فى كثير من أراءه علي الشريعة الإسلامية .

٣) الاتجاه الأخلاقي عند مسكويه وضح فيه من الاصالة ما يدحض به الأراء القائلة بانه مجرد عرض لأراء الفلاسفة يونانين كانوا او غير ذلك وقد ثبت بالدليل أصالة بعض أرائه.

٤) يشير مسكويه إلى أن كل ما جاء به الشرع من شعائر دينية إنما غايته تربية نفوس الناس على الفضائل لتقوية الاخاء العام ويظهر ذلك مثلا في شعائر الحج والعمرة وصلاة العيدين وصلاة الجماعة وصلاة الجمعة

قائمة بالمصادر والمراجع .

أولا : مصادر مسكوية :

١- تهذيب الأخلاق : تحقيق د/ قسطنين زريق ، ط الجامعة الأمريكية بيروت ١٩٦٦.

الحكمة الخالدة " جاويدان خرد" تحقيق وتقديم ، د/ عبد الرحمن بدوي دار الأندلس بيروت ، د.ت

٢- السعادة فى فلسفة الأخلاق تقديم سيد على الطوبجي السيوطي ١٩١٧م. ط المدرسة الصناعية الإلزامية مصر.

٣- الفوز الأصغر ، تحقيق د/ صالح عضمية ، الدار العربية للكتاب تونس ١٩٨٧ .

ثانيا: الرسائل العلمية :

٤- عواد / د (طارق عبد الحليم) تواصل الفكر الأخلاقي عند فلاسفة اليونان مع فكر الفلاسفة المسلمين ، ورسالة ماجستير ، آداب الزقازيق ١٩٩٨م.

٥- سليمان (د/ هناء عبده) الإنسان عند إخوان الصفا ومسكويه رساله دكتوراه ، كلية آداب المنوفية ٢٠٠٧

٦- مظهر (إيمان يحي) الإخلاق الإسلامية وأصولها العقائدية بين مسكويه وابن تيمية ، كلية أصول الدين والدعوة جامعة أم القري السعودية ، ١٤١٨هـ.

ثالثا: المراجع العربية :

٧- أمين (أ/ أحمد) : ظهر الإسلام ، ج ٢ ، ط دار الكتاب العربي بيروت ط (٥) ١٩٦٩م .

٨- الزغبي (د/ فتحى محمد) : مسكويه ودوره فى علم الأخلاق ، مجلة كلية الآداب جامعة المنوفية ، العدد (١) يناير ٢٠٠٢.

٩- التوحيدي(أبو حيان) : الأمتاع والمؤانسة ، المكتبة الرقمية بيروت ط أولى ، ١٤٢٤ هـ.

١٠- العاملى (السد محسن الأمين) : أعيان الشيعة ، مطبعة الإنصاف بيروت ١٩٦١ م .

Arab Abstract:

The Miskawayh despite the adoption heavily clearly on Greek philosophy , where he has taken the main source in moral philosophy , but he has not ignored the Islamic religion did not forget he is a Muslim , try a mix benefit from this philosophy is what he learned from the provisions of the law , trying to reconcile religion and philosophy , and willing to pay effort to abide by the provisions of his religion , Islam and abide Pmadi mightily , did not accept this philosophy is incompatible with religion, in many of the ethical issues